

ثالثاً: النثر العباسي

١- ملامح عامة عن النثر العباسي:

يعد العصر العباسي الأول من أزهى العصور التي تطور فيها النثر بشكل ملحوظ، وقد امتزجت فيه الثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية بالعقلية العربية، فشكلت عاملاً من عوامل ازدهار النثر، بالإضافة إلى نمو العلوم العربية والإسلامية.

وقد استطاع الكتاب أن يطوعوا النثر ويجعلوا منه فناً تجتمع فيه تلك الآداب والعلوم والمعارف، فيغدو أدباً جديداً ذا طابع خاص، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا معرفة الأسس التي يمكن أن يكون بها الكلام بليغاً فكان علم النحو والبلاغة والنقد وصناعة الإنشاء.

وقد قويت الكتابة بأنواعها المختلفة. ومنها: الكتابة الأدبية الشمولية، والقصاص التي ظهرت مترجمة عند ابن المقفع ومؤلفة عند الجاحظ، والرسائل الديوانية، والمناظرات، والعهود والوصايا والتوقيعات، والرسائل. ومن أشهر كتاب هذا العصر: ابن المقفع، والجاحظ، وسهل ابن هارون، وعمرو بن مسعدة، وإبراهيم الصولي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأبو حيان التوحيد.

٢- أسلوب النثر العباسي:

للتنثر العباسي مساران بارزان هما:

١ (أسلوب السجع: حيث مال إلى استخدامه بعض الكتاب، حتى أصبح سمة لما يصدر عن الدواوين من رسائل وتوقيعات، ومن أشهر من برز عنده هذا الأسلوب ابن العميد الذي احتكم إلى السجع وبعض فنون البديع الأخرى في كتاباته.

ولم يكف ينتهي العصر العباسي الأول حتى ظهر في النثر الاهتمام بالزخارف اللفظية المتمثلة في المحسنات البديعية التي بدأت مقبولة في أول الأمر؛ لقلّة التكلف، كما عند ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي إسحاق الصابي، وبديع الزمان الهمذاني، لكن تلك المحسنات سيطرت على أذواق الكتاب منذ ذلك الحين، وصارت هدفاً لذاتها دون أن تكون وسيلة موسيقية للتعبير عما في النفس من مشاعر، وتكلفوا في طلبها وتطبيقها على حساب المعاني والأفكار.

٢ (أسلوب الترسل: وهو أن يأتي الكاتب بكلامه مرسلًا دون سجع، ويعد ابن المقفع رائد هذا الأسلوب حيث تميزت كتابته بالوضوح والإيجاز، ثم جاء الجاحظ وتميزت كتابته بالجدل والاستطراد والتدقيق في اختيار الألفاظ وروح الدعابة.



نشاطات التعلم

نشاط بحثي:

١ (عد إلى مراجعك وعرف السجع، واذكر نماذج منه .

السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير و أفضله ما تساوت فقرة و الفاصلة هي الكلمة الأخيرة من كل فقرة و تسكن الفاصلة دائما في النثر للوقف

أمثلة : قال تعالى ((و النازعات غرقا (١) و النشاطات نشاط (٢)

أنشطة حوارية:

١ (لما استقر الأمر لبني العباس، وقام الموالي بسياسة الدولة، وقيادة الجيش ضعفت الخطابة، وقويت الكتابة. حاول أن تجد تفسيراً لضعف الخطابة .

- ١- ان العباسيين لم يطلقوا لها الحرية التي كانت تؤدي الى قوتها و ازدهارها من قبل
- ٢- أن فنزنا نثرية أخرى نافستها على مكانتها

٢ (لماذا يلجأ الأديب إلى المحسنات البديعية؟ ومتى تكون مستهجنة وغير مستساغة؟

من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره و للتأثير في نفس السامع و القارئ و يجعل بها الأديب أسلوبه و تكون غير مستساغة إن كانت كثيرة و متكلفة

٣ (هجر الشعراء في هذا العصر الألفاظ البدوية الجافة فهل تتوقع أن الكتاب فعلوا الشيء نفسه؟

عندما قامت الدولة العباسية كانت الكتابة الفنية قد أصبحت ذات قواعد و أصول على يد عبد الحميد الكاتب و العصر العباسي هو العصر الذهبي للكتابة الفنية فقد نبغ فيه الكبار الكتاب الذين جددوا في أساليب النثر و معانيه و فتحوا آفاقا جديدة للكتابة اتجهت الكتابة إلى السهولة

٣- فنون النثر العباسي ونماذج منها:

أ- الكتابة الأدبية الشمولية:

أصبح الأدب في هذا العهد شاملاً لجميع المعارف التي يتحلى بها الإنسان، وأصبح الأديب خزانة للعلم والثقافة، ولهذا اتجه إلى التأليف في الفنون والقصص والأخبار والتاريخ والحكمة والنقد والنظريات في الفنون والعلوم، وقد اصطبغت تلك المؤلفات بصبغة الشمول والتنوع والاستطرد، ومن هؤلاء:

١) **عبد الله بن المقفع (١٠٦-١٤٢ هـ)** فارسي الأصل أتقن العربية وطار صيته في الكتابة ومن أشهر كتبه:

أ - **كليلة ودمنة** ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية، وهو في أصله مترجم إلى الفارسية، أما مضمونه فحكمة في ثوب خرافة، حكى فيها قصصاً على ألسنة البهائم والطيور تدور حول نوازع الحياة في شتى مناحيها. ففيه أدب الملوك، وأدب الرعية، وأدب النفس، وأدب الصداقة وتضمن فلسفة أخلاقية ودروساً تشريعية.

ب - **الأدب الكبير والصغير** وهما كتابان صغيران في الحكمة.

٢) **الجاحظ (١٥٩-٢٥٥ هـ)** وهو عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، أكب على طلب العلم في الكتاتيب ودور

الوراقين ومجالس العلماء، وكانت كتبه في موضوعات شتى: في الفلسفة والاجتماع والدين والقصص، ويقال: إنها تجاوزت ثلاث مئة كتاب لم يصل منها إلا القليل القليل، أما أشهر كتبه فهي:

أ - **الحيوان**: وهو كتاب علم وأدب جمعه من كتب أرسطو وأشعار العرب في الحيوان وخبرته وتجاربه الشخصية، وهو علم في لباس أدب، ففيه من العلم التحري والشك والمقارنة، وفيه من الأدب قصص واستطرد وجد وهزل وتشويق، وفيه نزعة جاحظية من خفة الروح والدعابة والدقة وتخير الألفاظ والعبارة الحية القصيرة المتوثبة.

ب - **البخلاء**: وهو كتاب انتهج فيه سبيل القصص والفكاهة والتهكم، فيه الكثير من الخبرات الاجتماعية والاقتصادية وخصائص النفس البشرية.

ج - **البيان والتبيين**: هو ثاني أهم كتب الجاحظ، بعد كتابه الحيوان، ويتضمن مختارات من الأعمال الأدبية، تحدث فيه عن مفهوم البيان وأنواعه، وآفات اللسان والبلاغة والفصاحة، والخطابة وطبقات الشعراء، وأصل اللغة وقيمة الشعر.

٣) **أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦ هـ)** صاحب كتاب الأغاني وهو كتاب موسوعي في الأدب والتاريخ

وأحد أهم المصادر الأدبية، تتبع فيه أبو الفرج حركة الغناء العربي وترجم للشعراء والمغنين ووصف القصور وما فيها من فنون وآداب، كما حفل بالأخبار والنوادر والآراء الأدبية والنقدية والفكاهات والأقاصيص التاريخية المليئة بالحياة، وتميز أسلوبه بالروعة في التعبير وحسن التجسيد والواقعية.

ومن هؤلاء أيضًا ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦ هـ) في كتبه: عيون الأخبار وأدب الكاتب والشعر والشعراء، وأبو العباس المبرد (٢١٠-٢٨٥ هـ) في كتابه الكامل، وأبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) في كتابه أدب الكتاب والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في كتبه: يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، ولطائف المعارف، وكتاب الأمثال.

ب- القصة:

القصص فن شديد الانتشار في الآداب العالمية، والتراث القصصي العربي دليل على ميل العرب الفطري إلى هذا النوع من الأدب، وقد نشأت القصة العربية نشوءًا طبيعيًا، وكانت أخبارًا وأسمارًا تدور حول المآثر والأيام، ثم اشتهر القصص الديني للوعظ والإرشاد، واختلطت مصادر القصص الديني وتنوعت بين القرآن الكريم والحديث النبوي والأساطير.

أما في العهد العباسي فقد استمر القصص في انتشاره وشيوعه؛ وذلك لشيوع الترف والرخاء، وكثرة القصاصين، وانصراف الناس إلى هذا اللون من التسلية.

ومن أنماط القصص التي عرفها العصر العباسي: القصص الاجتماعي الأدبي كما في بخلاء الجاحظ، وقصص الأخلاق كما في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع.

كما عرف في هذا العصر السير والروايات الشعبية مثل: سيرة عنترة بن شداد وقصص ألف ليلة وليلة.

نموذج من كتاب كليلة ودمنة

النص:

قال دمنة للملك (الأسد): أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك؟
فبينما هما في هذا الحديث إذ خار شترية (الثور) أخوالًا شديدًا فهلج الأسد وكره أن يخبر
دمنة بما ناله، وعلم دمنة أن ذلك الصوت قد أدخل على الأسد ريبة وهيبة.

فسأله: هل راب الملك سماع هذا الصوت؟

قال: لم يربني شيء سوى ذلك.

قال دمنة: ليس بتحقيق أن يدع الملك مكانه وقد قالت العلماء: إنه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة.

قال الأسد: وما مثْلُ ذلك؟

قال دمنة: زعموا أن ثعلبًا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة، وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل، فُسِّع له صوت عظيم، فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته، فلما أتاه وجده ضخمًا، فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم، فعالجه حتى شقه فلما رآه أجوف لا شيء فيه، قال: لا أدري لعل أفضل الأشياء أجهرها صوتًا وأعظمها جثة.

فإن شاء الملك، بعثني، وأقام بمكانه حتى آتته ببيان هذا الصوت، فوافق الأسد فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شترية. فلما فصل دمنة من عند الأسد، فكر الأسد، في أمره، وندم على إرسال دمنة حيث أرسله، وقال في نفسه: ما أصبت في ائتماني دمنة، وقد كان يباني مطروحًا، وقد أبطلت حقوقه من غير جرم منه...، أو كان يرجو شيئًا يضر الملك وله منه نفع...

فليس السلطان بتحقيق أن يعجل بالاسترسال إليه والثقة به والائتمان له... ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنة مقبلًا نحوه فطابت نفسه بذلك، ودخل دمنة على الأسد فقال: ماذا رأيت؟

قال رأيت ثورًا هو صاحب الحوار والصوت الذي سمعته، قال الأسد: فما قوته؟

قال: لا شوكة له وقد حاورته محاورته الأكفاء فلم يستطع لي شيئًا.

قال الأسد: لا يعزرك ذلك منه فإن الريح الشديدة لا تعبا بضعف الحشيش، لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر.

النص : معاذة العنبرية

قال رجل من أهل مرو: لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية، قالوا: وما شأن معاذة العنبرية هذه؟ قال: أهدى إليها ابن عمها أضحية. فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معاذة؟

قالت: أنا امرأة أرملة وليس لي قيم، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي! وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه، وخفت أن يضيع بعض هذه الشاة! ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها! وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه! ولكن المرء يعجز لا محالة، ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجبر تضييع الكثير!

أما القرنُ فالوجه فيه معروف، وهو أن يُجعل كالخطاف، ويُسَمَّر في جذع من أجذاع السقف؛ فيعلَقُ الزبل وكل ما خيف عليه الفأر والنمل والسنانير والحيات وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة، وأما الرأس واللحيان وسائر العظام فسيبيله أن يكسر ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تعد، وأما الفرث والبعر فحطب إذا جف عجيب!

ثم قالت: بقي علينا الانتفاع من الدم، وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها، وأنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كئيباً في قلبي وقذى في عيني وهمماً لا زال يعودني!

قال: فلم ألبث أن رأيتها قد طلقت وتبسمت، فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم، فقلت: أجل!

ذكرت أن عندي قنوراً شامية جوداً، وقد زعموا أن لا شيء أدبغ ولا أريد في قوتها من التلطيح بالدم الحار الدسم، وقد استرحك الآن؛ إذ وقع كل شيء موقعاً!

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك الشاة؟ قالت: بأبي أنت! لم يأت وقت القديد بعد! لنا في الشحم والألية والعظم وفي غير ذلك معاش. ولكل شيء إبان!

* المقصود: عدم حصولها على حل للاستفادة من دم الأضحية، وقد أصابها بسبب ذلك الهم والغم.

ج ٢- مواصفات أسلوب الجاحظ : الأسلوب أحد المميزات الكبرى التي يتمتع بها الجاحظ فهو سهل واضح فيه عذو بلا ملل وفيه موسوعية ونظر ثاقب وإيمان بالعقل لا يتزعزع عرف أسلوبه بإيقاعه وقصر عباراته واستطراداته مع روح ساحرة سخرت من كل أشكال القبح في عصره حسيا كان أو معنويا و أوتي مقدرة بيانية مكنته من مدح الشيء و ذمه

مواصفات أسلوب ابن المقفع :

لهذا الأديب أسلوب خاص نجد فيه أفكارا منسقة و قوة منطق و الفاظ سهلة فصيحة منتقاة بالرفع درجاتها حتى ساد أسلوبه و احتذاء بلغاء الكتاب و ظل سائدا حتى ظهر أسلوب الجاحظ

نشاطات لنصي الجاحظ وابن المقفع:

١ (قراءة النصين قراءة معبرة.

٢ (معالجة المفردات والتراكيب.

٣ (استخراج سمات النصين:

أمامك عدد من السمات التي يمكن إثباتها لنصي ابن المقفع والجاحظ معاً، أو لأحدهما دون الآخر، فاختر أحد الخيارات الثلاثة (كلاهما، ابن المقفع، الجاحظ) أمام كل سمة فيما يأتي :

- | | |
|-----------------------|--|
| (الجاحظ) | جزالة الألفاظ مع سهولتها. |
| (الجاحظ) | عدم اللجوء إلى غريب اللغة. |
| (ابن المقفع) | الوضوح والسلاسة في الأفكار. |
| (ابن المقفع) | ظهور أثر الثقافة. |
| (الجاحظ) | الإيجاز في أداء الفكرة. |
| (ابن المقفع) | الاسترسال ونقصي الأفكار. |
| (الجاحظ) | العناية بالظرف وروح الدعابة. |
| (ابن المقفع) | الميل إلى الحكمة وضرب المثل. |
| (الجاحظ) | قصر الجمل ومراعاة الإيقاع الصوتي للجمل والألفاظ. |
| (الجاحظ) | سهولة الأسلوب وعدم اللجوء إلى الصنعة. |
| (كلاهما) | استخدام الحوار. |

٤ (تعرف الأفكار غير المصرح بها في النص الأول.

.. الصوت المرتفع لا يدل على قوة الشخصية . عدم التسليم بالأشياء دون اختبارها

ج- الخطابة:

وكان لها في أول العصر مكانة في النفوس؛ حيث اعتمد عليها الخلفاء والقادة في توطين الملك وترسيخ دعائمه وتحميس الجند واستقبال الوفود إضافة للخطابة الدينية.

فلما قام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وحلت الرسائل محلها، وقد وصل الأمر ببعض من ولي الخطابة من الأعاجم إلى استظهار خطب السابقين والخطابة بها.

د- التوقيعات:

هي ما يوقع به الخليفة أو غيره على ما يرفع إليه من شكوى أو تظلم، وكثيراً ما يكون التوقيع آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو حكمة أو شعراً، ومن أمثلة ذلك:

توقيع الرشيد إلى عامله في خراسان: «داو جرحك لا يتسع».

وتوقيع جعفر البرمكي لأحد العمال: «لقد كثر شاوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت».

هـ- الرسائل وهي نوعان:

١- الرسائل الديوانية: وهي ما يوجهه الخليفة أو الوالي أو الوزير أو غيرهم من رسائل في تصريف أمور الدولة، وكان يُعَيَّن لها كتاب يتصفون بالعلم والمعرفة في علم اللغة والأدب والفقه والعلوم المختلفة، ومن هؤلاء: يحيى البرمكي كاتب الرشيد، والفضل بن سهل وأخوه الحسن وزير المأمون.

٢- الرسائل الإخوانية: وهي الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء، كرسائل التهاني والعتاب وغيرها، ومن الأدباء الذين عرفوا بها: العتّابي، ابن المقفع، وغيرهما.

نموذج من الرسائل الديوانية

من كتابة ابن العميد:

الخطول اون لاين
hulul.online

الكاتب:

هو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد، كان وزيراً لركن الدولة ابن بويه، ثم عضد الدولة ابن بويه، وهو كاتب من الكتاب المعدودين في العصر العباسي، وكان يقرب الأدباء ويبذل لهم العطاء، حتى مدحه كثير منهم، مثل المتنبّي والصاحب بن عباد، توفي سنة ٣٦٠ هـ.

النص:

يقول في إحدى رسائله لأحد الولاة (ابن بلكا) عندما أعلن العصيان على ركن الدولة البويهية:
« كتابي وأنا متأرجح بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق

حرمة وتمت بسالف خدمة، أيسرها يوجب حقاً ورعاية، ثم تشفعها بحديث غلول وخيانة!
وتتبعها بأنف خلاف ومعصية! وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق ما يرعى لك!
لا جرم أني وقفت بين ميل إليك وميل عليك، أقدم رجلاً لصدك وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط
يداً لاصطلامك واجتياحك، وأثني ثانية لاستبقائك واصطلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض الأمور
فيك... تأميراً لفياتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب
اللب ثم يثوب، ويذهب العزم ثم يعود، ويفسد الخزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويكدر
الماء ثم يصفو، كل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة إلى جلاء» .
فلما قرأه (ابن بلكا) الوالي رجع وأناب. وهذا يدل على قيمة الأدب والأدباء آنذاك في توطيد
الأمن والهدوء والاستقرار في الدولة.

ج ١- تدل : تجازي

غلول : سرقة

فياتك : رجوعك



نشاطات التعلم

الجلول اون لاين
hulul.online

١) القراءة المعبرة.

٢) مناقشة المفردات غير الواضحة.

٣) التحليل الجزئي:

أ- لخص فكرة هذه الرسالة بأوجز عبارة.

الحكمة في معالجة أمور الولاة

ب- بم تميزت هذه الرسالة في أسلوبها؟

قصر الفقرات. استخدام السجع. المقابلة

٤) تحفظ الفقرة الثانية من الرسالة.

و- المقامات

مفردتها مقامة وهي الأحذوثة من الكلام تقال في مقام (مجلس) واحد يجتمع الناس لها، وتدور حول راوية وبطل وأحداث وهمية، وتغلب عليها الفكاهة والظرف ويتخللها الشعر والوعظ والمثل والأحادي والالغاز النحوية والكلمات القاموسية، وتدور جل موضوعاتها حول الكدية والاستجداء والتحايل لكسب المال والطعام، وقد أظهر أصحاب المقامات مقدرة لغوية عجيبة في تطوير اللغة والإتيان بغريبها واستعمال جديدها، وقد قيل: إن هدفها كان تعليم اللغة بأسلوب شائق.

وقد غلب في المقامات تيار الصنعة البديعية المنمقة من سجع ومقابلة ومحسنات لفظية، وجمل قصيرة رشيقة، ومن أشهر كتاب المقامات بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) والحريري (ت ٥١٦ هـ).

نموذج من المقامات (للدراسة الذاتية)

المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني:

حدثنا عيسى بن هشام قال: اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد، وليس معي عقد على نقد، فخرجت أنتهز محالة حتى أتحلني الكرخ، فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويظرف بالعقد إزاره، فقلت لظفرنا والله بصيد، وحيالك الله أبا زيد، من أين أقبلت؟ ومتى وافيت؟ وهلم إلى البيت، فقال السوادي: لست بأبي زيد، ولكنني أبو عبيد. فقلت: نعم، لعن الله الشيطان، وأبعد النسيان، أنسانيك طول العهد! واتصال البعد! فكيف حال أبيك؟ أشاب كعهدي؟ أم شاب بعدي؟ فقال: قد نبت الربيع على دمنته! وأرجو أن يصيره الله إلى جنته. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومددت يد البدار إلى الصدر أريد تمزيقه!! فقبض السوادي على خصري وقال نشدتك الله لا مزقه.

فقلت: هلم إلى البيت نضب غداً أو السوق تشتت شواء، والسوق أقرب وطعامه أطيب فاستفزته حمة القرم وعطفته عاطفة اللقم، وطمع ولم يعلم أنه وقع، ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقاً ويتسائل جواذباته مرقاً، فقلت: افرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الخلواء، واختر له من تلك الأطباق، وانضد له عليها أوراق الرقاق، ورش عليه شيئاً من السماق ليأكله أبو زيد هنيئاً، فانحنى الشواء بساطوره، على زبدة تنوره، فجعلها كالكلحل سحقاً، وكالطحن دقاً، ثم جلس وجلست، ولا يعس ولا يئست، وقلت لصاحب الحلوى: زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق، وليكن كثيف الحشو لؤلؤي الدهن كوكبي اللون يذوب كالصمغ ليأكله أبو زيد هنيئاً. قال فوزنه ثم قعد فقعدت وجرّد فجردت!! حتى استوفيناه.

ثم قلت: يا أبا زيد ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هذه الصارّة ويفثأ هذه اللقم الحارة، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقاء، يأتيك بشربة ماء، ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني، أنظر ماذا يصنع، فلما أبطأت عليه، قام السواديّ إلى حمارة فتعلق الشوّاء بإزاره، وقال: أين ثمن ما أكلت؟ فقال أبو زيد: أكلته ضيفاً، فلكمه لكمة وثنى عليه بلطمة ثم قال الشوّاء: هاك ومثى دعوناك؟!

فجعل السواديّ يبكي... ويقول: كم قلت لذاك الرجل أنا أبو عبيد وهو يقول: أنت أبو زيد، فأنشدت:

اعمل لرزقك كل آله لا تقعدن بكلّ حالة
وانهض بكلّ عزيمة فالمرء يعجز لا محاله